

الانطباع السائد من قبل الناس عن دائرة الطب العدلي وخاصة في السنوات التي أعقبت عام ٢٠٠٣ هو أنها المكان المخصص لتسلم الجثث وتحرير شهادة الوفاة لها، إلا أن ما يجهره الكثير هو أن دائرة الطب العدلي هي مؤسسة طبية تمارس دورا فاعلا ومهما في كشف حثيات حالات الوفاة وتقديم الأدلة الموثوقة للجهات الجنائية، كذلك لها الدور في الكشف عن الكثير من حالات الاغتصاب ونسب الأبوة وغيرها من الحالات الشائكة والمعقدة في علم التشريح الجنائي، فضلا عن احتواء مكتبتها على العديد من الحالات والقضايا الغريبة والمعقدة، ويصل في أحيان كثيرة إلى أن يكون تقريرها دليلا قاطعا يؤدي إلى إدانة متهم أو تبرئته. (المدى) عاشت مع العاملين في هذه الدائرة في أقسامها المختلفة على مدار أربعة أيام، وقفت من خلالها على طبيعة العمل في هذه الدائرة (المرعبة) للكثير من الناس كيف لا وهي آخر (ختم) لانتقال الناس إلى رحمة العزيز الجليل.

□ بغداد / قيس عيدان

لاقترانها بالموت يخشى الاقتراب منها

دائرة الطب العدلي شاهد إثبات لحالات الاغتصاب والنسب

المدينة، والجانب الجنائي من خلال فحوصات فصائل الدم الرئيسية والفريقية وفحوصات تطابق الأنسجة بشقيها (السرولوجية وبطريقة الحامض النووي) أي بالطريقة التقليدية. وأضافت ان الشعبية ومنذ عام ٢٠٠٨، وبعد استقرار الوضع الأمني تستقبل أعدادا كبيرة من القضايا الخاصة بتحديد النسب لتسجل أرقاماً كبيرة جداً خصوصاً في فترة يحتاج فيها الطفل إلى مستمسكات ثبوتية لغرض التسجيل في المدارس وغير ذلك.

الناس والطب العدلي

اختلفت آراء الناس وتصوراتهم حول عمل معهد الطب العدلي، فمنهم من يظن انه دائرة لمنح ورقة الوفاة، وأخر يقول انه مكان لتدريس الطلبة، فيما يرى ثالث انه مكان لتشريح الجثث، ويجعل الكثيرون أن هذا المعهد يعد من أهم المؤسسات الطبية في العالم لجمع لما له من مهام كثيرة في التحقيق الجنائي ودراسة وتحليل الوفيات وأسبابها. احمد معتز طالب في المرحلة الثانية جامعة النهريين يقول انه لا يحب سماع جملة الطب العدلي لأنها تذكره بالكثير من الأصدقاء أو الأعراف لديه، الذين تم تشريح جثثهم في هذا المكان، ويعتقد ان الطب العدلي ليس سوى مكان لتشريح الجثث، بينما صرخ فاضل صلاح موظف في وزارة الثقافة "يأربي سترك" من هذا السؤال و"إنشاء الله ميشوفه بشر" ويعمل المواطن نجيم بان خوفه من هذا المكان يرتبط في ذهنه بقصص القتل العشوائي التي حدثت في العراق وصار الطب العدلي يكتظ بالموتى مجهولي الهوية.

نهب الميت

بينما تقول المواطنة سهام (بائعة خضرة) إنشاء الله أعادني وكل من يكرهوني يذهبون للطب العدلي، وهذا الانطباع الذي يتصوره الكثير من المجتمع ليس بالغريب بعد عمليات الاغتصاب والأعمال الإرهابية اليومية التي كانت سائدة أيام الفتن الطائفية. ويربط البعض هذا المعهد بقصص غريبة وعجيبة وكأنه بيت لمصاصي الدماء وهذا ناتج عن الأمية الطبية وفقر المعلومات عند الناس حول بعض المؤسسات الطبية وطبيعة عملها، ربما تحدث حالة هنا أو حالة هناك مثل نهب الميت بعد تحرير شهادة وفاته، مما يثير هذا الأمر حالة من الفرغ إلا أن الحقيقة الطبية تؤكد انه كان في حالة غيبوبة عميقة، فشل الطبيب المقيم في تشخيصها وغيرها من القصص التي يؤخذ على بعضها التماهي والتحويل لغرض الإثارة.

اليوم يقوى عالم التشريح على فهم الأدوات اللازمة لتفسير أسباب الوفاة بدقة لا متناهية، نستطيع الآن ولوج هذا العالم الغامض إنه عالم التشريح الشرعي، العالم الذي تكشف فيه أسباب الوفاة للأحياء عن طريق التشريح. وسواء حصل الموت في الأمس أم منذ مئات السنين أصبح علم التشريح قادراً على كشف أسباب الوفاة، والإجابة على الأسئلة الغامضة، بالنسبة لعلم التشريح لم تعد الوفاة نهاية القصة بل بدايتها.



المدى مع الدكتور منير موفق



مختبر التحليل المركزي

الكبرى، ولتوضيح أكثر للبصمة الوراثية فهي عملية استحصال حامض نووي من النماذج المرسله على أساسها المقارنة واستحصال النتائج.

العثور على جثة ولده بعد عام ونصف

ومن القضايا العديدة والكثيرة يصف الدكتور منير أن رجلاً كبيراً ترد كثيراً على المعهد لمعرفة مصير ولده من خلال الصور التلفزيونية الموجودة في المعهد وفي أكثر من عام ونصف لم يعلم أي شيء، طلبنا منه اخذ عينة من الدم وبعد إجراء الفحص مع الجثث وتضطلع شعبة العائدية والنسب بإثبات البنوة والنسب من خلال فحص الدم وتطابق الأنسجة.

الدكتورة المسؤولة في شعبة النسب، أوضحت أن الشعبة تستقبل القضايا المحالة من الجهات التحقيقية والقضائية الخاصة بفحص البنوة والتأكد من العائدية والنسب عند الأحياء وحسب السياقات الأصولية وإجراء الفحوصات المخبرية العائلية الخاصة بها وعرضها على اللجنة الطبية العدلية وإعداد التقارير الخاصة بها وكذلك إجراء ما يتطلب منها في قضايا الاعتراضات المحالة من لجنة الاعتراضات وإعداد الجهات التحقيقية والقضائية لمساعدة العدالة في قضايا البنوة التي تتعلق بالجانب الاجتماعي والتشريعي والحقوق

حالات الاغتصاب الأسبوعية

الدكتور منير موفق مدير قسم البصمة الوراثية في المعهد يشير الى حالات الاغتصاب واللواط بالقول: تردنا بشكل اسبوعي وبمعدل ٧ حالات للاغتصاب واخرى للواط وهذه الحالات تردنا بشكل متواصل وبدورنا نقوم باجراء الفحوصات عليها.

وعن الحالات التي يمكن الكشف عنها اشار منير الى ان الحالات عديدة وكثيرة وأمام مكتبي الآن قضية اغتصاب وردت إلينا من الجهة القضائية، تبين أن المتهمين اثنان لكن بعد إجراء الفحص اتضح أن عملية الاغتصاب حصلت من شخص واحد والأخر بريء، ونحن بدورنا نرفع هذه التقرير وليس لنا أي دور في قرار القضاء، وحالة أخرى لقضية اللواط بشخص تجاوز الـ ٥٠ عاماً ارتكب هذه الجناية مع طفل لا يتجاوز عمره ١٢.

حيث اثبت الفحص الطبي الواقعية وهناك الكثير من قضايا اللواط والاغتصاب، وعن دور القسم في المعهد هو تسلم قضايا الاغتصاب وجرائم القتل واللواط وعائدية الجثة مجهولة الهوية، حيث نأخذ الحامض النووي واستحصال البصمة الوراثية من التي تحال إلينا في جميع المحافظات وتتم موازنة البصمات الوراثية عن النماذج المرسله، وكتابة تقرير مفصل وحسب نوع الفحص المرسل ويفصح منير عن أن المعهد مزود بأحدث الأجهزة المتطورة التي تستعمل في العديد من دول العالم

ولغرض رفع كفاءة العاملين فيه ومنحهم المخصصات التي تتناسب مع خطورة عملهم واستقطاب ذوي المهن الطبية والصحية والفنية للعمل فيه.

نبذة تاريخية

احتاج الإنسان للطب منذ شعوره بالألم والمرض لكن في السابق كانت الممارسة الطبية متعلقة بالأفكار والمعتقدات القديمة كالأرواح الشريرة وسيطرة الألهة.. ويتطور الحضارة الإنسانية تطور الطب وتشعبت فروعها وتم تنظيم الأعمال الطبية بالقوانين وأشهر قانون قديم هو شريعة حمورابي في العراق أرض الرافدين ..

لكن الأقدم منه هو شريعة أورغو أيضاً في العراق القديم وهي أول قانون عرفته البشرية، ثم شرائع أخرى مثل قانون (لبت عشتار) و(اشنونا) وكلها في العراق. وتضمنت اعتداءات جسمية وجنسية مع عقوباتها ومن البديهي أن إثبات حصول تلك الاعتداءات يتطلب جهة خبيرة تقرر حدوثها، فهذا النوع هو ممارسة طبية عدلية وان لم يكن اسماً طبيعياً كذلك في ذلك الوقت.

وشريعة حمورابي إضافة إلى عقوبات الاعتداءات تضمنت مواد للسلوك المهني للأطباء، تنظم عمل الأطباء وتكافئهم على أعمالهم الجراحية الناجحة وتعاقبهم على أخطائهم بحق المريض، فطبيب العيون الذي يؤذي عيون المريض يعاقب بقطع يده وهذا ما يشير إلى وجود مجالس انضباطية تراقب عمل الأطباء.

ويتطور الطب وممارسته أكثر أصبح الطب العدلي فرعاً مستقلاً لكنه لم يمارس في العراق بشكل واضح في القرن التاسع عشر.

أول مختبر مركزي

في القرن العشرين أسس أول مختبر مركزي في بغداد عام ١٩١٨، للكيمياء السريرية والباثولوجي والبكتريولوجي مع قسم لفحص النماذج الطبية العدلية سنة ١٩١٩. وبدأ فحص الجثث عام ١٩٢٠، بواسطة طبيب بريطاني يساعده

القاضي عبد الستار البرادار الناطق الرسمي لمجلس القضاء الأعلى أوضح العدلي هي علاقة وطيدة والحكام المختصة تسعى إلى تقرير الطب العدلي الخاص بالجرائم المختلفة، كون هذه التقارير تكون في بعض الأحيان في إعطاء الفصل النهائي والتشخيصي لأي حالة مرسله من قبل المحاكم المختصة إلى تلك الدائرة، حيث يرى القاضي أن القضية قد اكتملت من جميع إجراءاتها القانونية كون العديد من القضايا وخصوصاً قضايا القتل أو اللواط والاغتصاب تحتاج إلى رأي خبير وهو الطب العدلي كونه الجهد التخصصي والمعني الذي يلعب دوراً مهماً في الكشف عن الجرائم الجنائية التي يعجز التحقيق الجنائي عنها، ويلعب الطب العدلي دوراً بارزاً في الكشف عن الجرائم الجنائية الغامضة التي يعجز التحقيق عن كشفها ومعرفة ملابساتها، وتأخذ المحاكم العراقية تقرير الطب العدلي كأحد البيانات الأساسية في القضايا الجنائية إلى جانب دراسة العلاقة بين الوقائع الطبية والنصوص القانونية، عن طريق التشريح والتحليل وعدم الاكتفاء بالكشف الظاهري. ويقوم الطب العدلي بفحص جميع الآثار التي تترك في مسرح الجريمة أو المتواجدة على جسم الضحية.

قانون خاص بالطب العدلي

شرع مجلس النواب قانوناً خاصاً للطبابة العدلية في العراق بعد أن أجرى بعض التعديلات عليه، ونص على أن يؤسس معهد يسمى (معهد الطب العدلي) يكون مقره في بغداد ويرتبط بوزارة الصحة، يتمتع بالشخصية المعنوية ويمثله مدير عام معهد الطب العدلي أو من يخوله. للمعهد أن يفتح أقساماً للطبابة العدلية في مراكز المحافظات.

من أهم المهام التي تتولى الطبابة العدلية العمل فيها: فحص المصابين لتحديد الإصابات وسببها، تشريح الجثث والأشلاء لبيان سبب الوفاة، حضور عملية فتح القبر لاستخراج الجثة لوضفها أو تشريحها من أجل بيان سبب الوفاة أو اتخاذ أي إجراء

آخر يطلبه قاضي التحقيق، إبداء الرأي الفني في الوقائع الطبية المعروضة أمام القضاء، تقدير العمر بناء على طلب محكمة أو جهة رسمية مختصة، إجراء الكشف والمعانة موقفياً عند الاقتضاء، فحص الوقائع الناجمة عن الجرائم المخلة بالأخلاق والآداب العامة، فحص المواد المنوية والدموية وبيان فصائلها، فحص الشعر وبيان منشأه، تحليل العينات المختلفة كالمخدرات والسوموم ومخلفات إطلاق النار والإفرازات الجسمية وغيرها.

تشريح الجثث

تنظم الطبابة العدلية تقريراً عدلياً بكل مهمة تقوم بها بناءً على طلب من القضاء أو الجهات الرسمية ذات العلاقة ويكون تقريرها سرياً. فحص العينات السيسجية المختلفة للثبوت من طبيعتها، تشريح الجثة أو تسلم بدون تشريح بقرار مسبق من قاضي التحقيق لا يقوم الطبيب العدلي بتشريح جثة شخص كان تحت معالجته عن حالة انتهت بوفاته، لا يجوز تشريح الجثة إذا اشتبه بوجود حالة مرضية وبائية من الأمراض الخاضعة للوائح الصحية الدولية ويخبر في هذه الحالة قاضي التحقيق والجهات الصحية المختصة بذلك على وجه السرعة. نظراً لأهمية الطب العدلي ولتطويره ودعمه بما يؤمن تغطية مهامه على الوجه الأكمل،



عينات لمجهولي الهوية